

دراسة تحليلية
لبعض آراء المستشرقين
عن السيرة النبوية المطهرة

Analytic Study
on the Viewpoints of Orientalists
Concerning the Sacred Prophetic
Chronicle

أ.د. فاطمة زبار عنيزان
جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

أ.د. خديجة زبار عنيزان
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

Prof.Dr. Khadeeja Zabar `Anezan
Centre of Reviving Scientific Legacy
University of Baghdad

Prof.Dr. Fatima Zabar `Anezan
University of Baghdad
College of Education for Women
Department of Arabic



... ملخص البحث ...

يقوم هذا البحث على أساس دراسة بعض آراء المستشرقين وموقفهم من السيرة النبوية المطهرة من خلال كتاباتهم التي ركزوها عن القرآن الكريم والسيرة النبوية، الأمر الذي أغنى المكتبة الإسلامية بوافر من البحوث والمصنفات والمعاجم، كان نتيجته قيام حركة استشراقية واسعة النطاق لها اهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وأثمرت هذه الحركة نهضة واسعة تمكنت من تحديد مواضع الضعف والقوة في آرائهم التي ولدت مزيجا متناقضا غير متكافئ في بعض الأحيان له أثره في تشتيت أهدافهم ولا سيما الدينية - التبشيرية المجردة من القيم والمفاهيم، مما أدى إلى نتائج تتناسب وقدراتهم فمنهم من كان الحصين ومنهم من كان حاطب الليل، ومنهم من كان المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف.



...Abstract...

The study is based on the study of the views of some orientalists and their standpoints about the sacred prophetic chronicle via their writings that scrutinize the Glorious Quran and the prophetic chronicle. As a result, the Islamic library grows richer in research papers, workbooks and dictionaries, since there is widespread orientalism paying heed to Arabics and the Islamic studies. Such an act touches the forte points and weak ones in their opinions begetting an unbalanced, sometimes, amalgam that casts dissention among their targets, religiously missionary, devoid of doctrines and concepts. In time, such acts of disparity lead to artworks tantamount to their competence, the competent and the incompetent, or the obstinate and the feeble and the fair objective one.





... المقدمة ...

تظهر أهمية هذا النوع من الدراسات التاريخية كونه يختص بالبحث في مجال الدراسات الاستشراقية وموقفها من السيرة النبوية المطهرة، فقد أفادوا منه في فتح آفاق جديدة أدت إلى نهضة كبيرة لها أساسها في اكتشاف الحضارة العربية الإسلامية من جانب والعلوم الإسلامية من جانب آخر، من اجل تحقيق مواقع القوة والضعف من خلال الرؤية المناسبة لاتجاهاتهم العلمية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاستعمارية لان تراثهم الذي خلفوه ضخم يضم مئات المصنفات تأليفا وترجمة وشروحا وغير ذلك وان مافيه من انصاف للإسلام وتاريخه وشريعته سببه يعود إلى المزيج المتناقض من عند المستشرقين فيما يخص معرفتهم وفهمهم للغة العربية، وتكمن أهمية هذا الموضوع في التعرف على آراء هؤلاء ومواقفهم في هذا الموضوع في اتجاهها السلبي المتعصب والأخرى في اتجاهها الايجابي المتفهم.



أولاً: الاستشراق والإسلام

أولى المستشرقون الإسلام أهمية كبيرة، فأفادوا منه في فتح آفاق علمية وحضارية وأفادوا المكتبة الإسلامية بكثير من البحوث والمصنفات والمعاجم والتحقيقات القيمة، إلا أن كثيرا منهم جهلا أو تعمدا نالوا من الإسلام واتخذوا من عملهم في هذا المجال طريقا للطعن والتشويه والتصحيف والتحريف، وقد تركزت كتاباتهم حول القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة، وأقاموا الأدلة الناقصة من أجل إظهار ما تبطن نفوسهم، ولهذا نجد أنه لم يكتب في هذا الموضوع إلا كبار المستشرقين المتطوعين وللأسف كان حظ المغرضين غير المنصفين من هؤلاء كبيرا، الأمر الذي جعل مواجهة ذلك ضروريا وملحا لاسيما أن المكتبة الإسلامية تفتقر إلى الكتب المتخصصة التي ترد شبهات المستشرقين وتبين أخطاءهم^(١).

وفي مستهل هذا الحديث يجب علينا الرجوع إلى الجذور الأولى التي مهدت لنشأة الاستشراق أي الصلة الأولى بين المسلمين والغرب، إذ بدأت عندما كان المسلمون في إسبانيا، وكانت أوثق الصلات بالمسلمين من فرنسا وإيطاليا وإنكلترا، ففرنسا عرفت المسلمين وأصبحت لها صلة بالثقافة الإسلامية أولا^(٢)، في مدارس الاندلس وصقلية إذ تأثرت بها وانشأت على أثرها مدارس للدراسات الشرقية والإسلامية والمعاهد والجامعات والمجلات^(٣)، وإيطاليا التي كانت من أعرق دول العالم اتصالا مع المسلمين وحضارتهم اتصالا دينيا قويا بسبب اهتمام الفاتيكان التي كانت تمثل معقل المسيحية بالعلوم والثقافة الإسلامية عامة وباللغة العربية خاصة^(٤)، ومن هنا برز اهتمام الفاتيكان بالاستشراق من هذا الجانب، أما إنكلترا فقد ظل العلماء مدة طويلة يعتقدون أن أول اتصال مهم بين الثقافة الإسلامية والأوروبية كان نتيجة



الحروب الصليبية، وقد تكون هذه الفرصة الأولى للاتصال بين الشرق والغرب، إلا ان البحوث التاريخية أثبتت ان ذلك التبادل الثقافي كان محدود المدى والأثر، وهذا أمر متفق مع ماكان سائدا في ظل الحروب بين الطرفين ويعتقد ان وصول الحركة الفكرية والعلوم العربية الإسلامية إلى أوروبا بصفة عامة وانكلترا بصفه خاصة عن طريق آخر بعد ان فتح العرب شمال أفريقيا فأصبحت جسرا بين الشرق والغرب^(٥)، لهذا تهيأ للمستشرقين الانكليز مالم يتهياً لغيرهم فقد كان الاتصال والاحتكاك المباشر بالمسلمين وعلومهم الإسلامية فنهلوا من تلك العلوم وترجموا الكثير من كتبها إلى لغتهم منهم على سبيل المثال لا الحصر: توماس براون، وادوارد، وأوف بات وغيرهم^(٦).

وقد أثمرت جهودهم عن حركة استشراقية واسعة لها الاهتمام الكبير باللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعاتها واخذ الاستشراق مكانة هامة في كل من اسبانيا والنمسا وايطاليا والدنمارك وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ورومانيا وسويسرا وروسيا وأمريكا^(٧). الأمر الذي أدى إلى نهضة كبيرة أدت إلى اكتشاف الحضارة العربية الإسلامية من جانب والعلوم الإسلامية من جانب آخر كان نتيجته تحديد مواقع القوة والضعف من خلال منظورهم العلمي أو السياسي او الاقتصادي أو الاستعماري...الخ، وان تراثهم الذي خلفه هؤلاء المستشرقون ضخم يضم مئات المصنفات تأليفا وترجمة وشروحا وغير ذلك، وان مافيه من انصاف للإسلام وتاريخه وشريعته سببه يعود إلى المزيج المتناقض عند المستشرقين فيما يخص قدراتهم وإمكاناتهم على فهم العربية ودلالات ألفاظها فهي غير متساوية ومتكافئة عندهم من جانب^(٨).

والجانب الآخر ان أهداف المستشرقين ليست واحده بل متعددة ولعله راجع إلى حركة الاستشراق وان كانت احد أهدافها دينية نشأت على أيدي الرهبان إلا انها خضعت لظروف وملازمات أخرى متعددة ذات أهداف دينيه تبشيرية وعلمية مجردة ومصالحية وشخصية وخدمة استعمارية، ولاشك ان اختلاف قدراتهم وتبيان أهدافهم هذه أدى إلى نتائج تتناسب وهذه القدرات، فمنهم الحصين الدقيق، ومنهم حاطب الليل لا يدري أين يضع الكلمة، وفيهم المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف، بل منهم من أدى به انصافه إلى إعلان إسلامه قناعة و يقينا، منهم على سبيل المثال لا الحصر: يوكهارت، وكرتكوف، وزو سنتين، وغيرهم^(٩)، وعكس ذلك منهم المتعصب المغرض الحاقد الذي يروم الطعن بقصد التشويه وما يمكن ان ينال به الإسلام أو نبيه ﷺ، لذا فنحن بحاجة إلى تصنيف المستشرقين ومراحل كتاباتهم وبحسب الملازمات والظروف لمعرفة تطور الكتابة عن الإسلام بدءا بالرسول ﷺ، إلى ثلاث مراحل هي:

الأولى: مرحلة الطلائع.

الثانية: مرحلة مابعد سقوط غرناطة

الثالثة: مرحلة مابعد سقوط الخلافة الإسلامية^(١٠).

وفي ضوء هذا الاتجاه تنوعت دراسات المستشرقين في العلوم الإسلامية، وابرز

ماكتبوا فيه هو:

١. عن القرآن الكريم وعلومه.

٢. عن سيرة المصطفى ﷺ.



وقد اتصفت كتاباتهم حول القرآن الكريم بشكل عام بإبراز التشابه منه والقراءات الشاذة وتأويل الآيات الكريمة وتحميلها أكثر مما تتحمل، وبرزوا اختلاف وجهات النظر بين المفسرين وما إلى ذلك، وكثيرا ما يرمون بذلك إلى التشكيك والتشويش في مجال الدراسات القرآنية، ولم تكن كتاباتهم عن الرسول ﷺ بأقل من ذلك بل ان مجالهم في التشكيك والطعن كان اكبر من ذلك^(١١). واعرقوا المكتبة الاستشراقية بوافر من الكتب التي تشكك في سيرة المصطفى ﷺ شكلا وموضوعا وفيما تحمله من تصورات تخالف ماجاء في القرآن بزعمهم وان كان بعضها يخالف الآخر وغير ذلك مما سولت لهم انفسهم زعمه وفق اجتهاداتهم الخاطئة^(١٢).

ولهذا نجد ان الصورة المشوهة عن الإسلام كانت تهيمن على الفكر الأوربي من القرن الثاني عشر وحتى يومنا هذا تقريبا^(١٣)، لانها ضرورة لابد لهم منها كي تعوضهم عن النقص الذي يشعرون به تجاه الإسلام^(١٤)، التي كونت تلك الفكرة عن المسلمين كونهم وثنين يعبدون محمدا ﷺ، ونظروا إليه باعتباره ساحرا بل الشيطان بعينه ونلاحظ تحريف اسمه في الانكليزية (Mahound) وانهم ينظرون إلى الدين الإسلامي انه دين عنف وسيف وانه يطلق لشهوات المرء العنان وان محمدا هو المسيح الدجال^(١٥)، وزعموا أيضا ان القرآن الكريم نسخة محمد ﷺ، وتأليفه عن طريق الوحي المزعوم الذي هو عبارة عن أحلام ورؤى وأوهام وانه في بدايته كان يمثل أفكارا وأمثلة تصور الحياة الأخرى، ونتيجة لهذا حارب الشرك ودعا إلى توحيد الله وعبادته للفوز بالدار الآخرة، وقد كان متأثرا في سيرته هذه بالمصادر الخارجية من حوله، وهذا التصور المشوش نجده مسطرا في كتبهم ويتناقلوه آثما عن آثم خاليا من أدنى نظرة علميه مجردة^(١٦).

وبصورة عامة نجد ان ما أثاروه من الشبه والأباطيل حول الرسول ﷺ، والقرآن الكريم، يتلخص على النحو الآتي على سبيل المثال لا الحصر:

١. ان الرسول ﷺ ليس رسولا وانما مؤدي رسالة وساعده على ذلك ذكاؤه^(١٧).

٢. ان القرآن الكريم ليس وحيا من عند الله بل هو تأليف محمد ﷺ^(١٨).

٣. ان محمدا ﷺ اقتبس القرآن من التوراة والانجيل وأخبار الماضين وأساطير الأولين، وان القرآن ليس معجزا، ويمكن ان يحاكى ويؤتى مثله لأنه كلام يعبر بصيغ اعلي وارفع الأساليب العربية بلاغة وفصاحة، وان القرآن بدل وحرف وهو مليء بالتناقضات، وانه إذا صح ان محمدا ﷺ كان رسولا فهو رسول إلى العرب لا يتعداهم إلى غيرهم من الأمم، وان الذبيح من ولدي إبراهيم ﷺ هو إسحاق وليس إسماعيل^(١٩).

ثانيا: الجوانب السلبية للمستشرقين من السيرة النبوية وعلاقتها بالقرآن الكريم

تمثل الموقف الغربي من الرسول ﷺ ومن القرآن الكريم في شكل إطار ديني صرف موصوف بالتعصب والتشنج والانفعال المليء بالحقد والكراهية تحيط به جهالة عمياء متعمدة حيناً وغير ذلك حيناً آخر، جعلت بين القوم وشخصية محمد ﷺ سدا يصعب اختراقه وأثارت سحابا من فوقه سحب وظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج احد يده لم يكده يراها والنتيجة أبحاث ليست تاريخية علمية أو



موضوعية بل عبارة عن سيل منهمر من الشتائم والسباب مارسها رجال الدين من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة، ورجال علمانيون لاعلاقة لهم بالكنيسة واستمر هذا التيار حتى وقتنا الحاضر^(٢٠).

لذا سوف ننقل ما قالوه على سبيل الاستشهاد ومادام ناقل الكفر ليس بكافر. فلا بأس من إيراد بعض آرائهم التي هي عبارة عن شتائمهم التي تتلقاها عن اناس حديثي عهد بهذا العصر بل ان بعضهم لازال على قيد الحياة، منهم على سبيل المثال كما نقل محمد البهي عن المونسieur كولي في كتابه (البحث عن الدين الحق) قائلاً: «برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على اشد انواع التعصب ويتساهل في أقدم قوانين الأخلاق ثم سمح لإتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون بالاستمتاع الدائم بملذات الجنة... وان قوة الهلال تقهقرت أمام قوة الصليب وانتصر الانجيل على القرآن وعلى مافيه من قوانين الأخلاق الساذجة»^(٢١).

أما مسيو كيمو في كتابه (ميثولوجيا الإسلام) كما نقل البهي عنه «ان الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً، بل هي مرض مروع وشلل عام... وان قبر محمد في مكة ما هو الا عمود كهربائي يث الجنون في رؤوس المسلمين ويلججهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع الهيستريا والذهول العقلي وتكرار لفظ (الله الله) إلى ما لا نهاية»^(٢٢).

وعن جوليان في كتابه (تاريخ فرنسا) يورد البهي عنه قائلاً: «ان محمدا مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه ان يخضعوا العالم وان يبذلوا جميع الأديان بدينه...»^(٢٣).

وعن غلاورورو في كتابه (تقديم التبشير العالمي) يشير البهي قائلا: «ان سيف محمد والقرآن اشد عدوا واكبر معاند للحضارة والحرية والحق...»^(٢٤)، وزاد قائلا عن الرسول ﷺ كما نقل البهي: «كان محمد حاكما مطلقا وكان يعتقد ان من حق الملك على الشعب ان يتبع هواه ويفعل ماشاء...»^(٢٥).

ويقول المستشرق البريطاني المعاصر مونتكمري واط في التأثير اليهودي المسيحي عليه ﷺ: «ان زيارة محمد لحراء، وهو جبل قريب من مكة بصحبه عائلته أو بدونها ليست مستحيلة ويمكن ان تكون ذلك للفرار من أتون المدينة خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون إلى الطائف ويمكن للتأثير اليهودي المسيحي ولاسيما مثل الرهبان، أو تجربة شخصيه لمحمد، ان يكون قد أثار فيه الحاده للخلو والرغبة فيها»^(٢٦)، وزاد في موضع آخر ان مانزل على محمد ﷺ مماثل لما ورد في كتب اليهود والمسيحية قائلا: «... بعد ان اخذ محمد يتلقى الوحي وهي تعني ان مانزل على محمد مماثل لكتب اليهود والمسيحية المقدسه كما ان محمدا سمع ما يوهمه بانه مؤسس أمة ومشرع لها...»^(٢٧).

ان النظرة الأولى للإسلام تكشف عن مواضع شبه بينه وبين المسيحية، ولكن نظرة فاحصة دقيقة قريبة تبرز الخلافات الأساسية، وهذه الحقيقة غالبا ماتثير المبشرين في الماضي ومازالت تميل قليلا في المجال الأكاديمي إلى التحايل على تفسير مثل هذه الشوارد كأصول الإسلام ويتسنى للمبشر أو الباحث الأكاديمي إلى ان يتناسى وهو ينال من قدرة محمد ﷺ بطريق مباشر أو غير مباشر كيف يقدر المسلمون الأتقياء السيد المسيح ﷺ، وقد عمل احد المستشرقين وهو قسيس انجليكاني على عقد عدة موازنات ليظهر ان الإسلام في حده صورة غير محكمة أو مشوهه للمسيحية^(٢٨)، أما



الفرد كانتول سمث يذكر أسباب تباعد المسلمين والمسيحيين بعضهم عن بعضهم الآخر سببه ان الفريقين أساء فهم عقيدة الآخر كما نقل محمد البهي^(٢٩).

أما المستشرق كتيباني فقد اعتمد منهجا معكوسا في الانتقال الكيفي في أحكامه وقد أشار جواد على قائلا: «..كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث يذكرنا بكثير من المختصين في حقل التاريخ الإسلامي والذين يعملون وفق منهج خاطئ من أساسه إذ انهم يتبنون فكرة مسبقة ثم يحيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدوا مادون ذلك فلقد وضح رأيه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فلما شرع بها استعان بكل خبر من الإخبار ظفر به ضعيفا وقويها وتمسك بها ولم يبال بالخبر الضعيف»^(٣٠)، ونقل عن آيتين في كتابه (الشرق كما يراه الغرب) بعض الآراء حول هذا المنهج قائلا: «ان سيرة محمد الحديثة تدل على ان البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخرت لأي نظرية أو رأي سابق، وهي حقيقة يجب على مستشركي العصر ان يضعوها نصب أعينهم فانها تشفيهم من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود ما يجاوز حد الطاقة فيصلوا إلى نتائج خاطئة»^(٣١).

أما بصدد مهاجمة يهود بني النظر، فيذكر بعض المستشرقين ومنهم ولفنسون الذي يرى ان مؤرخي العرب يذكرون سببا آخر لإعلان الحرب على الطائفة اليهودية كما يقول: «... هو محاولتهم اغتيال الرسول وانهم ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت بعد إجلاء بني النظر»^(٣٢).

أما بروكلمان الذي يعزو الأمر إلى الظروف التي حالت بين الرسول ﷺ وبين شن الحملة كما يقول: «لقد حالت الظروف بين الرسول وبين الشروع في شن

حملة نظاميه مباشرة على المشركين فقد كانت فكرة الشرف العربية القديمة تمسك المهاجرين عن محاربة إخوانهم في قريش فيما كان المدنيون غير شديدي الميل إلى تعكير صفو السلم مع جيرانهم الأقوياء... وان محمدا كان يشكر صنيع أتباعه...»^(٣٣)، أما فلهاوزن الذي انكر سياسة تسامح الإسلام قائلا: «لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب في داخل المدينة...»^(٣٤). أما مرغليوث في كتابه (محمد) فقد قدم مبررات لاجدوى لها عن محمد ﷺ قائلا: «عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب النهب ولكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه...»^(٣٥).

ثالثا: الرد على غلو بعض المستشرقين

لقد غالى المستشرقون في كتاباتهم عن السيرة النبوية المطهرة وأجهدوا انفسهم في إثارة الشكوك في كل شيء يخص الرسول ﷺ، ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده، وأشار إلى هذه المسألة درمنغم كما نقل هيكل عنه قائلا: «... من المؤسف حقا ان غالى بعض هؤلاء المتخصصين أمثال موير ومرغليوث ونولدكه وشبرنجر ودوزي وكيثاني ومارسين وغريم وغولدزير وغوذفروا... في النقد فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ومن المحزن ان النتائج التي وصل إليها أولئك المستشرقون هي نتائج سلبية ناقصة»^(٣٦).

أما الأب لامانس الذي كان من أفضل المستشرقين المعاصرين ومن أشدهم تعصبا فقد شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وبني الإسلام وعنده ان الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن^(٣٧).



ان اعتماد القرآن الكريم مصدرا من مصادر السيرة النبوية المطهرة سلاحا ذو حدين، يتمثل الحد السلبي بنفي الكثير من أحداث السيرة النبوية المطهرة مادامت لم ترد في القرآن الكريم، وكأن القرآن الكريم كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة محمد ﷺ، وهذا مكنهم من عملية انتقاء مغرضة ذات طابع هدمي معاكس للكل وهي التشكيك ورفض كل رواية لا ترد موادها في القرآن لاسيما إذا كان في هذه الرواية تمجيد للنبي ﷺ، أو إذا كان في نفيها تأكيد لإحدى وجهات النظر الاستشراقية.

فمثلا شبر نكر Sprenger يرى ان اسم النبي ﷺ ورد في أربع سور من القرآن من آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وكلها سور مدنية وان لفظة محمد لم تكن اسم علم للرسول ﷺ قبل الهجرة وانما اتخذته بتأثير قراءته للانجيل واتصاله بالنصارى^(٣٨)، وهنا يتوجب ان نسال شبر نكر إذا كان النبي ﷺ قد التقط اسم (محمد) من خلال قراءته لنبوءات الانجيل فأين ذهب (محمد) الحقيقي الذي بشر به العهدان القديم والجديد؟

وان القرآن الكريم كان قضيه فوقية جاءت آياته لتقود الانسان في كل زمان ومكان إلى عصر جديد، ولم يكن يفعل انفعالا مؤقتا بالوضع السائد سلبا أو إيجابا كما يتصور معظم المستشرقين مسيحيين وماركسيين، وهذا يفسر لنا الكثير من الأخطاء التي مارسها مناهج البحث الاستشراقية^(٣٩).

ونحن هنا لانطلب من الغربيين ان يؤمنوا ان القرآن منزل من السماء وان محمدا ﷺ رسول، وانما نطلب ان يكونوا أكثر تجردا وموضوعية في النظر إلى السيرة النبوية المطهرة بوصفها وحدة عضوية متكاملة والقرآن الكريم بوصفه برنامجا مترابطا تعلق معطياته على الظروف المؤقتة زمانا ومكانا برغم ملامستها اليومية المباشرة

للوقائق الزمانية والمكانية التي تنبثق عنها قيم ودلالات ذات طابع شمولي ماكان للمستشرقين ان يغفلوا عن إبعادها.

فيرى بيجولفساكي ان القرآن الكريم يشعر بتركيز مرحلة ملكية الرقيق ويذهب مع بلاييف إلى المرحلة الإقطاعية الذي يرى ان الإسلام المتمثل بالقرآن الكريم لا يلائم المصالح السياسية والاجتماعية، ويدعي كليموفيج ان محمد ﷺ واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وأرادوا توحيد القبائل بينما ينفي تولستوف وجود النبي العربي ﷺ ويعده شخصيه أسطوريه كما نقل عنه الدوري^(٤٠).

أما المستشرق واشنجون ايرفج من أعلام الكتاب الذين فاخرت بهم الولايات المتحدة الامريكية الذي لم تمكنه دراسته من إدراك روح الإسلام وأساس حضارته فذهب مذهبه الخاطيء في تأويله فيما يخص مسائل القضاء والقدر والاعتقاد على مبدأ الجبرية كما نقل عنه هيكل قائلاً: «وقد أقام محمد جل اعتماده على هذه القاعدة لنجاح شؤونه»^(٤١).

أما الفيلسوف الفرنسي هيبوليت الذي تبني قوله: «المرء ثمرة بيئته» وقد ذهب غير واحد من المستشرقين إلى تأييده، ولكن نقول استناداً إلى قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾^(٤٢)، ولا يكون هذا وحده دليلاً على تحامل المستشرقين الذين يزعمون جبرية الإسلام التي أدت إلى تدهور الأمم الآخذة به بل ان الجبرية الإسلامية أكثر حظاً على السعي إلى الخير والفضل وابتغاء الرزق من الجبرية الغربية^(٤٣)، وربطوا مطاعنهم في مسألة جمع القرآن الكريم فأقاموا الحجج الواهية على ذلك مستندين في ذلك ان الرسول ﷺ قد قبض ولم يكن القرآن قد جمع في شيء كما نقل عن المستشرق وليم ميور وغيره من المستشرقين^(٤٤)، الذين



اتخذوا من قول الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما أورد هيكمل: «كيف يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مخطئون في تحميل عبارة أبي بكر هذا المعنى وفي ظنهم ان الآيات ظلت مبعثرة من نزولها إلى ان جمعت في عهد الخليفة الأول ثم في عهد عثمان رضي الله عنه وبتوفيقه... وانما ألفت القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٤٥).

أما هاملتون كب في مقالة له عن الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر: «... ان فكرة الإله الأعلى ماتزال غامضة مضطربة عالقة بالخرافات وان الثورة التي حققها محمد صلى الله عليه وسلم انه رفع فكرة الله ونزهها من عوالقها الطبيعية ولم يكتف بان يسميه (الإله الأعلى) بل انه (الواحد الصمد)» (٤٦)، وعن علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ينقل لنا النشمي عن كولد زهير قائلاً: «ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغ الأربعين من عمره اخذ يقضي وقته على ماتعود في الخلوة في الغيران المجاورة لمكة حيث كان نبها للأحلام القوية والرؤى الدينية وتملكه شعور بان الله يدعوه بقوة تزداد شيئاً فشيئاً ليذهب إلى قومه منذراً... الانذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم وبهذا انظم محمد صلى الله عليه وسلم إلى سلسلة أولئك الانبياء القدماء بوصفه آخرهم وخاتمهم» (٤٧).

وبهذا تكون فكرته تلك الصورة عن دور النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي وسمت القرآن الكريم بالصفة البشرية تلك النتيجة التي رتبوا عليها كل بحوثهم وأرائهم وركزوا كل تحليلاتهم واستقوا على ضوئها استدلالاتهم واستنتاجاتهم.

رابعاً: آراء بعض المستشرقين المنصفة

اتخذ بعض المستشرقين طريق الحق في الخوض في سيرة المصطفى ﷺ وما يتعلق بها من مواضيع شتى وقد أسهمت كتاباتهم المنصفة في التخفيف من التعصب الذي اتخذته غيرهم من المستشرقين غير المنصفين وكانت آراؤهم كلمة حق.

منهم العلامة شيبيرل الذي يرى ان للبشرية الحق بان تفخر بانتساب محمد ﷺ لها وذلك في بحث ألقاه في مؤتمر الحقوق عام ١٩٢٧م وقد أورد النشومي عنه ذلك قائلاً: «ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها، إذ انه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً ان يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين اسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»^(٤٨). ونقل النشومي عن الدكتور هوكنج الذي يقول ان الدين يقوم على أساس اتخاذ مجموعة من المبادئ التي تقود إلى التقدم «ان سبل تقدم الدول الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب المفترضة التي تدعي ان الدين ليس له ان يقول شيئاً عن حياة الفرد اليومية أو عن القانون والنظم السياسية، وانما يجب ان يجد المرء في الدين مصدراً للنمو والتقدم، ويقول اني اشعر انني على حق حين أقرر ان الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على المبادئ اللازمة للنهوض»^(٤٩).

أما المؤرخ الانكليزي ويلز الذي يرى ان أوربا كلها مدينة للإسلام في اغلب جوانبها الإدارية والتجارية^(٥٠)، وقد احتل الإسلام مكاناً وسطاً بين النظريات الرأسمالية والبرجوازية في نظريته إلى المادة بوصفها شيئاً مسخراً لخدمة الإنسان كما يشير ماسنيون وقد أيدته جوستاف لوبون الذي يرى ان العرب المسلمين هم سبب انتشار المدنية في أوربا^(٥١)، أما الشاعر الألماني جوته الذي يقول: «نحن مدينون للإسلام جميعاً»^(٥٢).



ان هذه الشهادات التي أصبحت معلومة للقاصي والداني، ووافق عليها كثير من المستشرقين المعاصرين اليوم تقضي على مزاعم غير المنصف من المستشرقين الذين كادوا العداة للإسلام عامة والرسول ﷺ خاصة، ولا بد من حركة واسعة من اجل إسدال الستار على أبحاث أولئك المغرضين منهم، كي يبقى الإسلام صافيا ناصعا لا يكدر صفوه تطاول أي زمره من المستشرقين الذين تجردوا من الموضوعية والبحث العلمي الرصين وآثروا التعصب هدفا لبحثهم والكيد والطعن والتشويه أسلوبا لمنهجهم ممن كان هذا دأبه وانه تجاوب مع منهج التوحيد الذي يتجاوب مع فطرة الإنسان^(٥٣)، مستندا إلى منهجه تبارك وتعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٥٤)، ويعزو بولد قابس تحامل المستشرقين إلى غزيرة موروثة تقوم على مؤثرات خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الاوربين الأوليين^(٥٥).

وعزز ذلك تلك الموازنة التي عقدها ماركس في كتابه (محمد وبوذا (المسيح)) أي بين الرسول ﷺ و بوذا المسيح متسائلا كما نقل العقاد ذلك قائلا: «... أليس محمدا نبيا على وجه من الوجوه؟... فأجاب قائلا: انه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الانبياء فقد عرف حقيقة عن الله لم تعرفها الناس من حوله وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لاتقاوم نشر تلك الحقيقة وانه لخليفة هذه الفضيلة وانه أوفر الانبياء شجاعة»^(٥٦)، وزاد معللا ذلك في قوة أساسه وعمقه كما نقل عنه العقاد «... ويقول إذ سال: ما الذي دفع بمحمد إلى أقناع غيره حيث رضي الموحدون بعبادة العزلة؟ فلانناص لنا ان نسلم انه هو العمق والقوة في أبحاثه يصدق مادعى إليه...»^(٥٧).

... الخاتمة ...

ومما تقدم نخلص الى ان للمستشرقين اهتماما واسعا بالإسلام بصورة عامة والسيرة النبوية المطهرة والقرآن الكريم بصورة خاصة ونتيجة لهذا الاهتمام رقدوا المكتبة الإسلامية بوافر من البحوث والمصنفات والمعاجم وغيرها وقد تركزت كتاباتهم حول القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة، وقد نشأ من ذلك حركة استشرافية واسعة لها اهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات المختلفة وأخذ مكانة مهمة في عدد من الدول الغربية منها اسبانيا والنمسا وايطاليا... الخ، وأثمرت جهودهم نهضة واسعة أدت إلى تحديد مواضع الضعف والقوة من خلال منظورهم العلمي والسياسي والاقتصادي والاستعماري، الذي ولد لديهم مزيجا متناقضا على وفق قدراتهم وإمكاناتهم على فهم العربية ودلالات ألفاظها فقد كان غير متساو ومتكافئ في اغلب الأحيان، لذا كانت أهدافهم ليست واحدة ولا سيما الدينية منها التي نشأت على أيدي الرهبان فكان لها طابعها الديني التبشيري ذو الطبيعة المجردة والمصلحية أدى إلى نتائج تتناسب وقدراتهم، فمنهم الحصين ومنهم حاطب الليل لا يدري أين يضع كلمته ومنهم المتجرد الباحث عن الحقيقة المنصف، ومنهم من أدى به إنصافه إلى إعلان إسلامه قناعة و يقينا.

.....
(١) الشمي: عجيل جاسم، المستشرقون، مصادر التشريع الإسلامي، ط١ (الكويت، ١٤٠٤هـ).



- (١٩٨٤م)، ص ٥-٦؛ درمنغم: أميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط ٢ (دار إحياء الكتب، ١٩٤٦م)، ص ١٠، ١٤١.
- (٢) م، ن، ص ٧.
- (٣) م. ن، ص ٧-٨.
- (٤) العقريقي: نجيب، المستشرقون، ط ٣ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م)، ١/ ٣٤٧.
- (٥) مجلة الاستشراق العدد الثاني، شباط ١٩٨٧م، سلسلة الكتب المقارنة، ص ٢٢.
- (٦) العقريقي: م. ن، ٣/ ١٦٢.
- (٧) النشمي: م. ن، ص ٨-٩.
- (٨) العقريقي: م. ن، ٢/ ٤٢٩.
- (٩) م. ن.
- (١٠) م. ن.
- (١١) النشمي: م. ن، ص ٢٢.
- (١٢) م. ن، ص ٢٢-٢٣.
- (١٣) أمين: حسين، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط ٢ (بيروت، دار الشرق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ص ٩٨.
- (١٤) النشمي: م. ن، ص ٢٢.
- (١٥) العقريقي: م. ن، ص ٣١.
- (١٦) أمين: م. ن، ص ٩٩-١٠٠.
- (١٧) المطعني: عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق، ط ١ (المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص ٩-١٠.
- (١٨) م. ن.
- (١٩) البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (القاهرة)، ص ٥٧، ٥٢١.
- (٢٠) م. ن.
- (٢١) م. ن.
- (٢٢) م. ن.
- (٢٣) م. ن.



- (٢٤) م.ن.
- (٢٥) م.ن.
- (٢٦) واط: مونتغمري، محمد بمكة، ترجمة شعبان بركات، (بيروت، المكتبة العصرية)، ص ٨١؛
ومحمد بالمدينة، ترجمة شعبان بركات (بيروت، المكتبة العصرية)، ص ١٥.
- (٢٧) م.ن، ٩٢-٩٣.
- (٢٨) البهي: م.ن، ص ٥٩٣-٦٠١.
- (٢٩) م.ن.
- (٣٠) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م)،
٩٥/١.
- (٣١) م.ن، ٤٣-٤٤.
- (٣٢) ولفنسون، اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (القاهرة، الاعتماد، ١٩٢٧م)،
ص ١٤٥-١٤٦.
- (٣٣) بروكلان: كارل، تاريخ الشعوب الاسلاميه، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي،
(بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص ٤٤.
- (٣٤) فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، (دار القلم، ١٩٨٠م)، ص ١٥-١٦.
- (٣٥) مرغليوث: محمد وقيام الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، ١٩٦٨م، ص ٢٦٢-
٢٦٣ و Margolioth.D.S. Mohammad and Rise of Islam.(London.1931). p.263-262.
- (٣٦) هيكل: محمد، حياة محمد، ط ٤ (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ٥٥٠-٥٥١.
- (٣٧) علي: م.ن، ١٠، ٨/١-١١.
- (٣٨) م.ن، ٨٧/١.
- (٣٩) م.ن.
- (٤٠) الدوري: عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، الكاثوليكية،
١٩٦٠م)، ص ١٤-١٦.
- (٤١) حياة محمد، ص ٥٥٠-٥٥١.
- (٤٢) النجم، أية ٤٠.
- (٤٣) هيكل: م.ن، ص ٥٥١.
- (٤٤) أبو بكر الصديق، ط ٤ (القاهرة، ١٩٧٩م)، ص ٢٢٦-٢٢٧.



- (٤٥) م. ن، صد ٣٢٩.
- (٤٦) كب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة د. إحسان عباس وآخرين، ط ١ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤ م) ن صد صد ٢٤٨-٢٤٩.
- (٤٧) مصادر التشريع، صد صد ٤٦، ٣٢.
- (٤٨) م. ن، صد صد ٢٣٧-٢٣٨.
- (٤٩) م. ن.
- (٥٠) م. ن، صد ٢٣٩.
- (٥١) م. ن،
- (٥٢) م. ن،
- (٥٣) م. ن، صد صد ٢٤٣-٢٤٤.
- (٥٤) الملك، أية ١٤.
- (٥٥) الإسلام على مفترق الطرق، صد صد ١٣، ٥٨، ٥٩.
- (٥٦) العقاد: عباس محمود، عبقرية محمد، (مصر، دار الهلال، ١٩٦٩ م)، صد ١٥٤.
- (٥٧) م. ن.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (دار القلم، ١٩٨٠م).
- (١) أمين: حسين، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ط ٢ (بيروت، دار الشرق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- (٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه فارس ومير البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).
- (٣) البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (القاهرة).
- (٤) درمنغم: أميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعير، ط ٢ (دار إحياء الكتب، ١٩٤٦م).
- (٥) الدوري: عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠م).
- (٦) العقاد: عباس محمود: عبقرية محمد، (مصر، دار الهلال، ١٩٦٩م).
- (٧) العقيقي: نجيب، المستشرقون، ط ٣ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م).
- (٨) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٦م).
- (٩) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، (دار القلم، ١٩٨٠م).
- (١٠) كب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة د. إحسان عباس وآخرين، ط ١ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤م).
- (١١) مجلة الاستشراق، العدد الثاني، شباط ١٩٨٧ منسلسلة الكتب المقارنة.
- (١٢) مرغليوث، محمد وقيام الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريذة، ١٩٦٨م.
- (١٣) المطعني: عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق، ط ١ (المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- (١٤) ميور: وليم، أبو بكر الصديق، ط ٤ (القاهرة، ١٩٧٩م).
- (١٥) النشمي: عجيل جاسم، المستشرقون، مصادر التشريع الإسلامي، ط ١ (الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- (١٦) هيكل: محمد، حياة محمد، ط ٤ (القاهرة، ١٩٥٨م).
- (١٧) واط: مونتغمري، محمد بمكة، ترجمة شعبان بركات، (بيروت، المكتبة العصرية).
- (١٨) محمد بالمدينة، ترجمة شعبان بركات، (بيروت، المكتبة العصرية).





(١٩) ولفنسون، اليهود في بلاد العرب في
الجاهلية وصدر الإسلام، (القاهرة،
الاعتقاد، ١٩٢٧م).

Margoloth.D.S.Mohammad (٢٠
and rise of
-Islam,(London,1931),p 262
.263



